ذكرى ميلاد الرسول

للأستاذ محمد يوسف موسى

[بقية ما نشر في العدد ٤٠٨]

يقول ابن إسحاق فيما يرويه ابن هشام في سيرته : إن عبد المطلب جد الرسول قد نذر — فيما يزعمون — لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا مبلغ الرجولة لينحرن أحدهم لله عندالكعبة. فلما توافى بنوه عشرة وصاروا رجالاً ، جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء به ، فأطاعوا وقالوا : كيف تصنع ؟ فذهب بهم إلى هُبل — أعظم أصنامهم وكان مقاماً داخل الكعبة — وأقرع بينهم بالقداح ، فخرج القدح على عبدالله أحب بنيه إليه ، فأخذه والده إلى إسافٍ ونائلة — وكانا كذلك صنمين — وأخذ الشفرة وهم بذبحه ، فقامت إليه قريش وبنوه ومنعوه ما أراد من الأمر الجلل ، وانتهى الأمر باستشارة عرافة لعلها تأمر بما يكون فيه من هذه الكارثة مخرج ؛ فأشارت عليهم بأن يقرعوا بين عبد الله وعشر من الإبل — وهي مقدار الدية — فإن خرجت القرعة على الإبل نحروها ونجا عبد الله ، وإلا زادوها عشراً ثم عشراً حتى يرضى الله . وأخيراً رجعوا وظلوا بقوامهم يستوحونها وفي كل مرة يخرج القدح على عبد الله ، حتى بلغت الإبل مائة ، فخرج القدح عليها ثلاث مرات متواليات ، فنحروها فداء عنه ، وكان فرح عظيم[1]

هل نرى سخرية أكبر من هذه ؟ كبار العقول والأحلام يحكمون ما صنعوا وأقاموا من أصنام في أنفسهم وبنيهم ودمائهم ! « ولقد كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا ، وجعل الثلاث الباقيات أثافيّ لقدره ، وإذا ارتحل تركه ، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك[2] »

(١) « سيرة ابن هشام » طبع مصطفى محمد ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) كتاب « الأصنام » لأبي المنذر الكلبي طبع دار الكتب ص ٣٣

وإذا كان العرب — كغيرهم من الأمم — من الناحية الدينية والناحية الاجتماعية في حاجة إلى دين جديد يخرجهم من الضلال للهدى ومن الظلمات للنور ، وينقذهم مما تردوا فيه من جهالة جعلتهم عبيداً لما يصنعون من أصنام وأوثان . هذا الدين الجديد كان الإسلام الذي يتفق والإنسانية التي بلغت النضج الكامل . جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فاضطرب لمولده رجال اليهودية والنصرانية ، إذ رأوا فيه قضاء على ما كان لهم من حول وسلطان

هذا الدين كان حرياً بنا أن نعتز به ونهتدي بهديه ، وقد رأينا كيف جعل من العرب المتعادين المتقاطعين أمة متماسكة متحدة ملكت في سنوات معدودات بلاد فارس والروم ، وكيف قدم للعالم مبادئ وتشريعات فيها الصلاح كل الصلاح والخير كل الخير ، وكيف أسس حضارة لا تزال مضرب الأمثال

نحن — وسائر المسلمين في العالم من أدناه إلى أقصاه — نحتفل كل عام بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويلقى في كل ما نقيم من حفلات ما يأخذ بالأسماع والألباب من النثر والشعر ، فنظن أننا بهذا قضينا واجب الذكرى بخاتم النبيين الذي كان بعثه بشير رحمة للعالمين . لا ، والله ، لن نقضي حق هذه الذكرى الجيدة إلا إذا كنا أهلاً لهذا الدين الذي نشرف بالانتساب إليه ، وإلا إذا أخذنا بشرائعه وآدابه وتقاليده . وإن أمة لا تعمل إلا الكلام تنمّقه ، والمآثر تعدّدها ، والتاريخ تنقّر عنه في حسرة وألم ، لهي أمة مقضي عليها بالانحلال . لقد صرنا في زمن يعتبر فيه طلب التشريع الإسلامي ضرباً من العبث ، والمناداة بتقاليد الإسلام عودةً للرجعة . وهؤلاء الذين يرموننا بالعبث والرجعية يرون الخير في أن يأخذوا من تقاليد أوربا وحضارة أوربا التي نشاهد مبلغ ما صارت إليه وما فعلت بأصحابها ! وهم مع هذا كله يحتفلون بميلاد الرسول وبهجرته ويكل ذكرياته وأيامه المجيدة ، ظانين أنهم بما يلقون أو يسمعون من الخطب قد قضوا ما عليهم من واجب !

لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي تتذكر هذه الأيام من كل

علم مولده هدًى وسنن فى كل نواحى الحياة ، والدين الذى أرسل به تشاريع تناولت جميع الشئون ، ونجاحنا فى هذه الحياة وسعادتنا فيها فى الدار الآخرة رهن بإتباع هذا الدين فى الجليل من الأمر والحقير ، وكرامتنا كأمة لهـا مقوماتها وخصائصها فى أن نلجأ إلى هذا الدين وحده ، نأخذ منه مانحتاج من تشريعات وقوانين وتقاليد هي مجلبة للعزة والفخر .

يبدأ الاحتفال وينتهى فى القليل من الزمن ، ويعود كل من المحتفلين إلى داره . فليتذكر كل منا إذن إذا ما خلا بنفسه بعد أن انقضى الحفل : أنه مسلم ، وإنه منذ ساعات كان الاحتفال بذكرى ميلاد نبي الإسلام ورسوله ، وإن هذا الإسلام يوصى — فيما يوصى به — بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن كان فى ذلك غضب الرؤساء وأولى الأمر ، وبالرفق بالفقير وإعطائه حقه ، وبالإخلاص لله فى السر والعلن ، وبعدم خشية أحد إلا الله مالك الأمر كله ، وبعدم استخذاء الإنسان فلا يذل لغيره من المخلوقين مثله ، وبالغضب لله كلما امتهن شيء من دينه أو ديست شرائعه ، وباعتبار الناس جميعاً إخوة لا فرق بين جنس وجنس ما داموا جميعاً تحت راية الإسلام . فإذا تذكر هذا كله ، فليسأل نفسه : أين هو من هذا الذى يأمر به الإسلام ؟ وهل هو مؤمن حقاً يفهم الدين ويعمل به ؟ أم مسلم لأنه ولد فى أسرة مسلمة ونشأ فى بلد إسلامى ؟ بعد هذا إن عرف من نفسه أنه مؤمن حقاً بقلبه وعمله ، فليحمد الله وليعلم أنه يحتفل بقلبه وعمله فى كل حال بالإسلام ورسوله وبمولد هذا الرسول وبعثته ، ما دام يعرف الدين ويعمل به ، ويحترم الرسول ويعمل بسنته وهديه . وإن عرف من نفسه غير ما تقدم ، فليعلم أنه مراء يظهر الاحتفال بصاحب الإسلام ويمتهن الإسلام ورسوله بالإعراض عما جاء به من هدى وشرائع وسنن وآداب ، وليندم وهو فى سعة من أمره ، وليعزم على أن يكون فى غده خيراً منه فى يومه . هدانا الله سواء السبيل ، ووفقنا إلى الصراط المستقيم .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

مراسلات . . .

اختلاف الأزهريين

يختلف الأزهريون فى آرائهم كما يختلف سائر الناس . واختلاف الرأى أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، ولكن الظاهرة الغريبة التى أصبحت شأناً من شئون الأزهر الخاصة ، وعلامة من علاماته المميزة ، هى التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها ، مع أن القوم يشربون من معين واحد ، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت : يرى الرجل منهم أو من غيرهم رأياً فيعلنه للناس فاذا أهل الأزهر فيه فريقان يختصمون : هذا يرفعه إلى السماء ، ويصفه بأنه رأى عظيم يرجى منه الصلاح ويرتقب فيه الخير ، وذاك يخفضه إلى الأرض ويراه شراً مستطيراً وفساداً يجب أن يوقي الناس خطره ويجنبوا ما فيه من وبال ! ولم يغب عن القراء ما كان من أمر جماعة كبار العلماء فى « فتوى الأربعاء » ثم فى « برنامج الإصلاح » . وقد نشر عالم فاضل فى « الرسالة » بحثاً جيداً عن « شخصيات الرسول » فوقف الأزهريون منه موقفين متناقضين : قالت طائفة منهم : لم يأت بجديد ؛ وقالت طائفة : إنه قال بما لم يقله أحد من قبله ! ولو اقتصروا على هذا الخلاف فى الشكل لهان الأمر ، ولكنهم اختلفوا أيضاً فى الموضوع اختلافاً بعيداً ، فنهم من رآه فتحاً فى الدين عظيما ، ومنهم من رآه شراً مستطيراً ، وناراً توشك أن تلتهم الأخضر واليابس !

والأزهريون قوم مؤمنون ، والمؤمن سريع الغضب ، سريع الرضا ، ولذلك غضبوا على الأستاذ الإمام محمد عبده فرموه بالكفر والإلحاد ، ثم رضوا عنه فهو الآن من الأئمة المصلحين . والأستاذ الأكبر المراغى كان خارجاً على الدين وهو رئيس للمحكمة الشرعية العليا ، ثم عاد إلى الدين فجأة بعد توليه مشيخة الأزهر ! والزيات ، وطه حسين ، والعقاد ، وشلتوت ، والزنكلونى ، ومبارك ، وهيكل ، وغيرهم قد ذاقوا من ذلك ما ذاقوا . ولست أدرى : أفى الأزهر الآن جماعة مرشحون لهذا الغضب ؟

اللهم حوالينا ولا علينا !

محمد محمد المدنى